

مصطفى كمال وموسوليني

كيف أجاب بطل تركيا على تهديد بطل إيطاليا

منذ بضعة أسابيع وقف دكتاتور إيطاليا وباعث نهضتها لياقي خطبة من خطبه النارية على شباب إيطاليا الفاشيست ليزيدهم حماسة ووطنية فوق ما خلق فيهم منها كما هي عادته منذ أن تقلد زمام أحفاد الرومان ، فرأى أمامه بحراً زاخراً من ذوى القمصان السود وكلهم ممثلون حرارة وحماسة ، ومتعطشون لليوم الذى تتاح لهم الفرصة فيه لأبراز مقدرتهم الجسمانية ، ومهارتهم فى فنون الحرب والفروسية ، فغره ذلك : نعم ، غر الدوتشى ذلك الجمع المحتشد وتلك الصفوف المتراسة ، الثابتة كالبنيان . وخيل اليه فى تلك اللحظة أن العالم كله قد ارتدى القمصان السود وجاء ليقدم آيات الخضوع وفروض العبودية لموجد إيطاليا الأوحد ، ليزداد كبراً على كبرائه

وهنا لعب الغرور دوره وزلت بموسوليني القدم زلة سياسية

الى يخبرونها بأنفسهم ويرونها بعيونهم ، فما كدنا ننتهى من نقل مقالة العالم المتقدمة حتى قرأنا حكاية لضابط انجليزى فخاها أن بعض الأقوام الذين يعيشون حول بحيرة البرت نيازاً فى أعالي النيل يقدسون التمساح ويقدم كاهنهم قرباناً له من آن الى آن — فتاة صغيرة من فتياتهم لرد غضب الآلهة اذا أنسوا غضبها

وقد روى هذا الضابط أنه أنقذ فتاة أعدت طعاماً للتمساح المقدس بترويع التمساح من غير أن يلحق به أذى . وأرسلها الضابط الى مكان بعيد تشفى فيه من الروع الذى أصابها وفى اليوم التالى علم الكاهن بما صنع الضابط فجاءه معاتباً وقال له فى جملة ما قال :

« أظن الفتاة تنال الشفاء . لن يمضى عليها شهر من هذا التاريخ حتى تموت » . وكان ما قال الكاهن

وقد روى الضابط ما حدث وعلق عليه بقوله : « ومما كان سبباً فى أسفى أنه مع كل ما بذل من الجهد لشفاء الفتاة ماتت فى خلال شهر كما أنبأ الكاهن . أفكان موتها من لعنة الآلهة أم من تأثير الروع ؟ ذلك ما لا يستطيع أحد معرفته » !

فطبيعة . أجل ، فقد أوحى الغرور الى هذا الجبار أن يمحيط اللثام عن أمور كان حريصاً على كتمانها حتى تلك اللحظة حرصه على حياته .. فأشار فى سياق كلامه الى رجاله ، شباب إيطاليا الحاضرين ساعتئذ ، ان أرض القياصرة لم تعد تسعهم وأن عليهم بعد الآن أن يتطلعوا بأبصارهم نحو الشرق ونحو الجنوب ...

(تلك البلاد التى غدا أحقر علوج الغرب يمحى النفس بالسيادة عليها ؟ ! ..)

لقد غفل عن نفسه موسوليني هذه المرة وارتكب فى غفلته هذه خطأ سياسياً لا يمكن تلافيه بالسهولة التى كان ظنّها . ذلك انه قد تحرش وبالأحرى صوب سهام كلامه ، بقصد أو بغير قصد لذلك الذى أثبت مراراً لأوربا ، المفتونة بنارها وحديدتها ، انه مستعد دائماً وأبداً لأن يعطيها درساً جديداً أقسى وأمر من كل الدروس القاسية التى أعطاها اياها فى الماضى القريب فقط ...

وما كاد الأثير يحمل صدى هذه الخطبة الى قاعة مجلس الأمة الكبير ويوصله الى آذان جبار تركيا العتيد ، حتى أوعز الى سفيره فى روما أن يقابل الدكتاتور ويستوضحه عن كلمة « الشرق » التى قالها وأوماً اليها فى عرض خطبته تلك . وما كاد موسوليني يعلم ان سفير تركيا يريد مقابلته حتى انتبه للغلطة التى وقع فيها . فأسرع للقاء الوزير وأكد له بأنه ليس إلا محباً لتركيا ومعجباً بنوازيها الأعظم . ولم يقصد قط الأراضى التركية فيما أراد من « الشرق » فى خطبته . وانه لا يضع تركيا فى مصاف الأمم الشرقية ، بل يعتبرها دولة أوربية من صديقات إيطاليا ...

فبمثل هذه التأمينات ظن موسوليني انه يستطيع اليوم أن يلعب مع الكمالين (أو ليسوا هم فى الحقيقة شرقيين أيضاً ؟) الدور الذى لعبته إيطاليا بالذات مع حكومة « الباب العالى » فى حرب طرابلس وبنغازى بالأمس القريب ، فلذا شعر كأن الكابوس الذى ضايقه من يوم إلقائه الخطبة المذكورة — وربما كان لأول مرة فى حياته الدكتاتورية — قد زال بانصراف سعاد بك من لدنه ، وفوجئ على حين غرة بضربات سياسية قوية متتالية من منقذ تركيا العظيم

قلنا لم يكذ موسوليني يضحك من تحت شاربيه الحليقيين بعد

انصراف الوزير الشرقى حتى ذهل ووقف واجماً ، اذ علم أن قيامه
الجيش التركى قد قامت ، ذلك الجيش الذى لم تكن كتابته
قد تنفست بعد من غمار الحرب الكبرى فى وجه أوروبا
العاتية ، قبل عشر سنوات فقط ، وهددت جيوش أقوى دول
العالم على أبواب الآستانة فى الوقت الذى كان قد خيل الى
العالم أن حملة الـ « آل سنجاق » (العلم التركى الأحمر) قد
أصبحوا فى خبر كان ودخلت سلطنتهم وسيادتهم فيما قدر لها من
صفحات التاريخ . .

وقف اليوم هذا الجيش اللجب ، الشاب القوى ، المزود
بأحدث معدات الحرب الآن ، وقف ليستعرضه وليرد له تحياته
العسكرية الصميمة المشير « الغازى مصطفى كمال باشا » ، قائد
العام بالأمس القريب — يوم أن كانت الأرض غير الأرض
والسما غير السماء فى الجهة الغربية من بلاد الأناضول — ورئيسه
الأعلى اليوم الذى أخذ يزور الأماكن التى قد يغر ضعف فى
استحكاماتها أو عدم اعتناء فى حراستها من يسوقه سوء حظه
من جيوش الغرب إلى أن يشتبك معها . .

وعلى أثر عودة الغازى الى الآستانة من طوافه لغرب الأناضول
ومن استعراضاته لحمة سواحل تركيا الغربية والجنوبية دوى
فى قاعات عصبة الأمم والقاعات السياسية الأخرى فى أوروبا خبر
التوقيع على معاهدة أصبحت بموجبها دول البلقان — كلها تقريباً —
كتلة واحدة بزعامة سيدة البوسفور ، وأعقب ذلك اتفاق بين
فرنسا وروسيا السوفيتية حليفة تركيا القوية . ومن ثم اعتراف
شبكة بلقان بروسيا نتيجة للمساعي التى بذلها فى ذلك السبيل توفيق
رشدى بك (ساعد الغازى السياسى) . .

وليس هذا كل ما فعله الأتراك على أثر غلطة « الدوتشى »
الزعيم الايطالى الأعلى ، تلك الغلطة التى لقت فى يد الكمالين سلاحاً
قوياً ليستعملوه الى أقصى حد ممكن ؛ فرصة انتهزها الأتراك
واستغلوها لصالحهم الى أبعد الحدود المستطاعة . .

أمر داهية تركيا أن يخصص فوراً — بحجة الخوف من غارة
ايطالية — ثلث الميزانية العامة لهذه السنة لاعلاء شأن الدفاع
القومى ؛ وأوصى اليابان — صديقه الجديدة — بصنع بوارج
وغواصات ونسافات وطرادات وغيرها من معدات القتال البحرى ،

كما أوغر فى الوقت نفسه الى وزير خارجيته وممثله فى عصبة
الأمم أن يطلب الى ممثلى الدول أن يأذنوا لتركيا لتلحق القسم
المعتل الوحيد من معاهدة لوزان بأمثاله من مجموع فصول معاهدة
(سيفر) التى كان توقيع الكمالين عليها قد جرى ، لا كما جرى عليها
توقيع باقى دول الاتفاق الرباعى ، انما برؤوس الحراب المسمومة التى
مزقتها إرباً إرباً وقبرتها فى مهدها فيما يتعلق بتركيا ، بينما ألمانيا
التهتدية الآرية العظيمة لا تزال الى يومنا هذا تعمل المستحيل
للتخلص من بعض أغلال تلك المعاهدة . وعلى ذلك تقدم ممثل
تركيا الى مجلس جنيف وأبلغ أعضائه رغبة الأمة التركية فى تحصين
المضايق وتسليحها ، اذ أن هذا القيد الوحيد الذى أجبرت ظروفه
الدقيقة تركيا أن ترتضى به كتدكار — وقى على الأقل — لمعاهدة
لوزان التى اعترف فيها باستقلال تركيا المطلق ، لم يعد الآن يقوى
على نمو ساعد تركيا الفولاذى

إن هذا القيد قد أكله الصدأ وتصدع من جوانبه كلها ،
ولا يلبث حتى يتفتت من تلقاء نفسه إن لم يسرع ممثلو الدول فى التقاط
أوصاله التى ستتطاير فى القريب ليحتفظوا بما ضحوا فى الدردنيل . .
(ولو أن السير جون سيمون صرح حديثاً وهو ، مسرور ،
فى مجلس العموم « أن توفيق رشدى بك قد وعده أخيراً بأن تركيا
سوف لاتصر على هذا الطلب فى الوقت الحاضر ؟ ! . .)

وها هى ذى الأسلاك أخذت تنبئنا الآن بأن صاحب الجلالة
رضا شاه پهلوى امبراطور ايران العظيمة قد ترك بلاده
لأول مرة فى أيام حكمه ، واجتاز الحدود التركية ووصل بموكبه
الشاهانى المؤلف من (٤٠) وزيراً وقائداً واختصاصياً ومرافقاً
الى (أنقرة) عاصمة الكمالين ، محروساً طول الطريق بقوات
مضيفه من البر والبحر والجو ، ومستقبلاً ومشيعاً حيث ما مر
من بلاد جارتة العزيزة بهتاف الشعب التركى بحياة جلالته الغالية ،
وذلك اجابة منه لدعوة بلغت من زميله الحاكم الشرقى الكبير ،
وجاره القوى العزيز ، الذى اقام على انقراض حكومة (الرجل
المريض) البائدة ، هذا الصرح الشامخ ، وهذا السد المنيع فى وجه
أوروبا كلها ، والذى دعاه ليرتبط وياه بروابط ستهلح لها قلوب
الكثيرين من طغاة أوروبا المتجبرين . ومن بينها ، على كل حال قلب